الميديا الجديدة والصناعة الثقافية من السايكولوجيا الجماهيرية إلى التشكلات الرقمية-مساءلة حوارية سوسيولوجية-

The New media and the cultural industry from The psycological mass to the digital forms-Aconversational issue-

سارة بن ريالة 1

داود جفافلة♣

تاريخ الإرسال: 2020/08/17	تاريخ القبول: 16 / 01 / 2021	تاريخ النشر: 30 / 06 / 2021

الملخص:

تخوض هذه الورقة البحثية مساءلة حوارية سوسيولوجية للعلاقات الترابطية بين النظم البنائية الاجتماعية وقضايا الثقافة والهوية،للمجتمعات العربية المعاصرة في ظل البيئة السيبرانية، وتحديدا في ضوءتطبيقات الإعلام الجديد ووسائطه-الفيسبوك أنموذجا-،ولكن بصيغة مغايرة للتناولات البحثية السابقة، لنتحدث عن واقع الشعوب العربية في ظل سطوة التقنية وآليات الدمج التعسفي الناعم،منطلقة من أسس سوسيو إعلامية نقدية،تتكامل وتندمج لمساءلة العلاقات التأثيرية المتبادلة،للكشف عن عمليات التشكيل والتشكل للثقافات العالمية،الشمولية منها والفرعية،في ضوء العوالم الرمزية،حيث تناقش هذه الدراسة السمات الرئيسية للتحول في نهج التشكلات الثقافية المعاصرة من الاجتماعي للرقمي .

الكلمات المفتاحية: الميديا الجديدة،السيبرانية،التشكلات الرقمية،الصناعة الثقافية،الهوية.

المؤلف المرسل: سارة بن ريالةbenrialasara@gmail.com

1مخبرالدراسات النفسية والاجتماعية،جامعةمحمدخيضر بسكرةsara.benriala@univ-biskra.dz

♣مخبر الدراسات النفسية والاجتماعية،جامعة محمد خيضر بسكرةdaoud.djefafla@unv-biskra.dz

Abstract:

This research paper discusses a sociological dialogue issue for the interconnected relations between social constructive systems and issues of culture and edentity for contemporary Arab domains in the harm to the causal environment ,particularly in light of new media applicationsand facebook media as a model,but in a manner different from the previous researche endeavors.The power of technology and the mechanisms of arbitrary integrationresulting from those that seocritical media integrate and merge to account formutual trivial relationshisto reveal the processes of global,incluseve,light of modern symbolic worlds.This major study discussesan analysis of contemporary approaches from social to digital.

***Key words**:Spirian media, digital formation , cultural industry,identity.*

** *** ***

مقدمة:

يعد الاتصال شرطا أساسيا لحدوث التفاعل الاجتماعي،فاتصال الفرد بالآخرين يحدد طريقة تفاعله معهم ،كما أنه يحدث نتيجة لهذا التفاعل. إذ يعتبر الاتصال المصدر الأول للخبرة غير المباشرة،حيث يكمن دوره في توجيه الفرد وتعريفه ببيئته وإدراك مجتمعه. من هذا المنطلق السوسيولوجي برزت أهمية العودة وبحزم للنظريات السوسيولوجية، خاصة وبعد انتشار الوسائط المتعددة وتداخل وسائل الإعلام في تأدية وظائفها،في ظل السيطرة القوية والقوة التأثيرية الهائلة للإعلام الجديد وتطبيقاته،فقد أصبح الإعلام المعاصر اليوم بمختلف أشكاله ووسائطه الرقمية الحديثة،وبمختلف أنماطه وتشكلاته الجديدة القائد والمسيطر،سواء على مستوى الوسيلة،الأداء أوحتى الوظيفة،فلم يعد هذا الأخير يكتفي بمجرد كونه قناة أو حلقة وصل بين عناصر البناء الاجتماعي و نظمه المختلفة،أو حتى أداة في يد الدولة أو أي سلطة أخرى مهما كانت صيغتها،فهو السلطة الأولى التي تقود العالم ،نعم انه "**عصر السلطة الإعلامية بامتياز**"،فالتطورات السريعة والمتلاحقة على مستوى الوسيلة الإعلامية بفعل الثورة الشبكية الرقمية مكنت من اختزال جميع الوسائل التقليدية في وسيط متعدد مما

انعكس على مستوى الأداء والوظيفة،فتجاوز بذلك الإعلام وظائفه الجماهيرية التقليدية،القائمة على الإخبار والترفيه والتنشئة الاجتماعية والتثقيف،وغيرها... من الوظائف إلى وظائف أخرى أهم وأقدر بكثير وهي وظيفة "**إعادة بناء العالم الاجتماعي وتشكيله**"،فهو الصناعة العظمى صناعة القرن الواحد والعشرين،إنها"الصناعة الإعلامية المعاصرة"التي اجتاحت جل مظاهر الحياة،العامة منها والخاصة،لتحتل بذلك الأولوية وتتخذ كامل الصلاحية والشرعية كوصي على الشعوب والمجتمعات،متولية يذلك جميع الأدوار الاجتماعية التثقيفية و التوعوية والتنشيئية وغيرها،لمالها من قوة وسلاسة تأثيرية على الجماهير. فهاهي ذي المنصات والشبكات التواصلية الاجتماعية كوسائط وتطبيقات إعلامية جديدة تتحرر من القيود والضوابط الاجتماعية،السياسية منها والقانونية،وحتى الدينية منها والقيمية باسم الحرية العالمية كنهج وقوام وشرعية لحياة إنسان القرن الواحد والعشرين.

بين هذا وذاك تستمر التجاذبات والتنافرات بين مؤيد ومعارض،بين مجدد ومندد ،لتتسع رقعة الاختلافات وتتقلص في أحيان عدة وفي الكثير من المرات-ليس لشيء وإنما لأن الأمر صار جد معتاد- ،في حين تتماهى الإنسانية في عوالم افتراضية تحت مسمى العولمة الثقافية،لتتخبط بين واقعها الفعلي وتحيا بين متنفسات صفحاتها الافتراضية بخطى استحيائية تتباين من مجتمع لأخر،ومن فئة إلى أخرى،إذ يجدر بنا القول لا محالة بأنه من المطلوب التعايش مع هذا الواقع والتسليم به،لأنه بوجه أو بأخر حتمية اجتماعية لا مفر منها في ظل المجتمعات المعلوماتية و الفضاءات السيبرانية الرقمية التي نعيشها، فلاجدوى من مواصلة طرح الاختلافات الفكرية في هذا الشأن وإكثار الحديث دون طائل. وإنما الحري بنا الفصل في هذه القضايا و تجنب مثل هذه الصدامات والبحث عن-بل وإيجاد- حل وسيط يرضي كلا الطرفين،ولزوم تفعيل آليات للتجاوب و التقبل والتعايش السلمي مع هذه الحتميات التكنولوجية، وتطويعها لتتواءم مع حدود

الخصوصية الثقافية للشعوب المنخرطة في صفوف **الإعلام الجديد وتطبيقاته الوسائطية**،إذ لابد من المرونة في التعامل مع أي مستجد علمي كان أو ثقافي أو اجتماعي -جملة وتفصيلا-.

ولأن لكل مجتمع من المجتمعات انتماءا ثقافيا يميزه عن غيره،فالمجتمع الإسلامي له خصوصية متميزة تفرده عن باقي الشعوب والثقافات،ولكوننا نؤمن بحكم تام ومطلق بأن المجتمع في تغير مستمر وفقا للنظرية السوسيولوجية التطورية،فكل تغير في المجتمع يصاحبه تغيرات في بنية الأنظمة الاجتماعية ووظائفها،ليصبح من المحتم تغير الملامح الاجتماعية في ضوء بروز معطيات ومنطلقات جديدة انعكست بآثارها على العالم الاجتماعي أجمع،في ظل أخطر ثورة شهدتها البشرية في الوقت الراهن وهي**"الثورة التكنولوجية الرقمية"**. التي أعادت صياغة العالم بأساليب خارقة -**لم نألفهامن قبل بهذا الشكل**-،لتختزل بذلك كل التركيبات البشرية وحتى الاجتماعية وتعيد تشكيلها وتصنيعها بسم العلم والتقنية،لننتقل بذلك إلى المرحلة الأهم والأخطر في تاريخ البشرية وتحديدا من"**ذكاء العقل البشري المَسطر إلى العقل الاصطناعي المسَيطر**" ،ليتوجب علينا وفورا الصحوة من غفلتنا هذه وتجاوز عتبات انبهارنا بالوسيلة إلى ضرورة التفكير ، بل والحد من مخاطر الآلة على العقل البشري عموما وإنسان القرن الواحد والعشرين خصوصا،ونعيد الاعتبار للذات،ولمؤسسات الضبط الاجتماعي،وإعادة النظر في و مراجعة أدوار ووظائف النظم الاجتماعية، بمافيها مؤسسات التنشئة الاجتماعيةوالجماعات المرجعية والمؤسسات التربوية وكذا **وسائل الإعلام** على وجه الخصوص.وفق ماتقتضيه الفطرة البشرية وسلطة الضبط الاجتماعية،فالكل تخلى عن شاكلته الاجتماعية وحياته الفطرية وسعى إلى مصانع الميديا الاجتماعية والقولبة الرقمية الالكترونية،لدرجة أننا صرنا نخشى أن يحل اليوم الذي سنسير فيه دون كامل إرادتنا العقلية،ونسيَر من طرف مخلوقات صناعية أذكى بكثير من النسخ البشرية،والغريب في الأمر أنــها من صـنع

أيدينا،لتكون لها السلطة علينا ونحن واقفون مكتوفي الأيدي'.فما عشناه بالأمس وما نعيشه اليوم من فجوات معرفية ورقمية وحتى قيمية،سنعاني من ويلاته بالغدخصوصا ونحن نتشوه يوما بعد يوم لتضعف جيناتنا الوراثية وسط **مختبرات العولمة الثقافية** بين تجارب **النسخ والمسخ** التي جرفها سيل العولمة إلى عتبات و بيوت شعوبنا العربية والإسلامية.فاليوم وباسم التفاعل،التشارك والتواصل –**أوبالأحرى قطع الوصل**- وتحت رعاية ثقافة الحوار مع الأخر،نحن نتصل ونتواصل بشكل أو بأخر عبر هذه النوافذ والشبابيك الاجتماعية والفضاءات التواصلية الميدياتيكية،التي اتخذت على عاتقها مهمة إعادة إنتاج وتصنيع وبناء وتشكيل كلياتنا وجزئياتنا،وإعادة تصنيفها بالشكل الذي يضمن ويحقق لها الاستمرار والتواصل.

ففي ظل العالم المعاصر القائم على اقتصاديات المعرفة ومجتمعات المعلومات.فان الصناعة الإعلامية قد بلغت غايات بعيدة في عمق الأثر و قوة التوجيه وشدة الخطورة مؤدية إلى تغييرات جوهرية في دور الإعلام، لتجعل منه محوراً أساسياً في منظومة المجتمع فهو اليوم محور اقتصاديات كبرى قوى العالم وشرط أساسي لنمو باقي القوى الأخرى في ظل اقتصاد المعرفة.ولعله وفي ضوء هذه السطوة الإعلامية المعرفية قد بات من الخطر ومن الخزي والعار السكوت عن هذه الجائحة –**العولمة الثقافية**-،لأن الأمر فاق الحدود الترفيهية والتثقيفية والإخبارية إلى الوظيفة التشكيلية "**تشكيل العلاقات والثقافات والهويات**"،بل و أعظم من ذلك **تشكيل الكل الاجتماعي**.لن نتحدث عن وضع الانفلات الأخلاقي،القيمي والثقافي كتبعات لولوجنا إلى منصات وشبابيك **المدينة الوسائطية العالمية** لأننا حتما نعي وندرك تجاوزنا مرحلة الانفتاح والتبادل المعرفي و الثقافي إلى مهام أوسع بكثير،تلك التي تستهدف **إعادة تشكيل عقل الإنسان وفكره**،لأنها وبكل بساطة"اجتاحت كل حياتنا بأدق جزئياتها وتفاصيلها،**لترتب أجندات اعتماداتنا**،معطية بذلك **الأحقية لنفسها** لتصبح الرفيق الحميم والبديل لكل شيء،فهي المستشار والمدبر

والمفكر،هي الأخ والخليل،هي **الذاكرة للذات وللأخر**،إنها **الذاكرة الاجتماعية في نسختها الالكترونية."**

من هنا تنتهي بنا هذه الديباجة إلى طرح العديد من التساؤلات الواجب الإفصاح عنها صراحة،والبحث في إمكانية وجدوى الإجابة عنها لإيجاد السبيل الحقيقي لعلاج مشكلاتها والحد من تبعاتها.لنتساءل عن العلاقات الترابطية التداخلية بين ثلاثيـــة **الإعلام الجديد** كمعادلة وسائطية وسيطة،وقضايا **الثقافة والهوية** ومختلف **التحولات والتشكلات الثقافية الشعبية** من **البناء والتنظيم الاجتماعي** إلى **الصناعة والتشكيل الرقمي**.

لنطرح العديد من التساؤلات التي قد تتمحور في جزء كبير منها حول :ماجدوى الولوج إلى المدينة الوسائطية المعاصرة؟مارهانات النفاذ إليها والتعامل في ضوئها؟وهل من الممكن تحقيق الاتزان النفسي والعدالة الاجتماعية في ظلها؟أم أن هذا الأمر مجرد ضرب من الخيال؟

- ماالمقصود **بالعولمة الثقافية**،وما أهم آلياتها التكنوو سائطية ؟
- كيف تسائل النظريات السوسيولوجية العلاقة الثلاثيةبين"المدينة الوسائطية الاجتماعية،التشكلات الثقافية الرقمية وأزمة الهوية".
- ماهي أهم ملامح الثقافات الرقمية المعاصرة وماتأثيرها على المجتمعات العربية الحديثة؟

حيث **هدفت هذه الدراسة** إلى مساءلة العلاقات الترابطية التأثيرية والتأثرية بين النظم الاجتماعية،والبنى الفرعية داخل النظام الاجتماعي-المجتمع-وعلاقتها بالتحولات في مسارات الثقافات الشعبية،في ظل عمليات التحول والتشكل الرقمي الحديث لثقافات الشعوب،وانعكاسات ذلك على هويات هذه الأخيرة في ظل المد

الجارف للعولمة الثقافية،حيث تبحث في السيرورة التاريخية التطورية لثقافات الشعوب من السايكولوجيا الجماهيرية إلى التشكلات الرقمية الحديثة أو ما يمكن الاصطلاح عليه بالثقافات الالكترونية. ومن المجتمعات الجماهيرية إلى مجتمعات المعلومات والمعرفة وفق رؤية سوسيولوجية نقدية.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الورقة البحثية على **المنهج الوصفي التحليلي**،الذي يسعى إلى وصف واقع الثقافات الشعبية المعاصرة في نسختها الالكترونية،من خلال تحليل دراسات ومواضيع مشابهة تتعلق بإشكالية البحث المطروحة.

2.العولمة الثقافية وأزمة الهوية:

1.2 الميدياالجديدة وهابيتوس[1] الثقافات بين النسخ والمسخ...:

أفرز التقدم الهائل والسريع في تكنولوجيات الإعلام والاتصال في العقدين الأخيرين من القرن الماضي ومطلع القرن الحالي عن بزوغ آليات تواصلية جديدة في المجتمعات المعاصرة،مما أفضى إلى ظهور العديد من التحولات الكبرى الغير مسبوقة في تاريخ الإنسانية عامة والمجتمعات العربية الإسلامية خاصة.فبعدماكانت الشعوب العربية تتقوقع على نفسها داخل غشاء بلازما يحمي أجنتها وأممها من التشوهات الخلقية والأخلاقية التي من الممكن أن تصيبها،وجدت اليوم نفسها وسط ثورة معلوماتية لم يسبق لها مثيل،دون أن تكفل لنفسها توفير العدة والعتاد لخوض الحرب الاستعمارية الناعمة،فهاهي ذي تتسلل وتتنقل بين نوافذ وشبابيك التواصل الاجتماعي،لتطل عبرها ومن خلالها على العالم الأخر،لتتمشي باستحياء وحذر شديدين في البداية،لكنها قد تتعود يوما بعد يوم ليزيد شوقها وانبهارها بجمال الشاشة و الفضاءات الافتراضية والتي من أشهرها الفضاء الميدياتيكي الأزرق **facabook**،الذي تسبح فيه البشريةجمعاء ،باعتباره النموذج الذي يتصدر اهتمامات الشعوب ويملأمعظم أوقات فراغها.فالتواصل الشبكي الجديد بين بني البشر ساهم إلى حد بعيد جدا في انفتاح ثقافات الشعوب على بعضها البعض مما ألغى خصوصية هذه الشعوب أمام جائحة العولمة وباسم مجتمع المعلومات وثورة المعلومات الرقمية،التي فتحت الباب على مصرعيه،لتضع شعوب

العالم وخاصة المستضعفة منها بين خيارين لا أكثر،إما الاندماج دون شروط أو التخبط بين شبابيك ونوافذ الفضاء الافتراضي تحت حجة التواصل في صراع مع ضغوط الواقع الفعلي الذي يشهد أزمة اغتراب **وقطع للوصل**،لتصاب بانفصام في الشخصية وتعاني من أمراض واضطرابات نفسية واجتماعية.

صحيح أننالاننكر أن هذه التحولات الجذرية في تقنيات التواصل الإنساني قد سهلت العديد من المشكلات وفتحت العديد من المنافذ أمام إنسان القرن الواحد والعشرين في ضوء بيئة تكنولوجية رقمية معاصرة غيرت ملامح العالم الاجتماعي،ولكنها ضربت وبيد من حديد ركائزه وأسسه لتحمل على عاتقها مهمة المَشكل الجديد وتعيد بذلك بناء كل شيء،سواء على مستوى"**العلاقات ،التفاعلات ،الهويات والثقافات وحتى على مستوى ابستيميات العالم أجمع،لتتغير تصوراتنا ومعارفنا تجاه ذواتنا واتجاه الأخر**".فما ألفناه بالأمس أصبح اليوم أمرا أقرب إلى الغرابة منه إلى المألوف والمعتاد،لنعاني بذلك شبح الاغتراب النفسي والاجتماعي في حياة الحداثة المعاصرة،وفي المقابل نتعود بسهولة ويسر كبيران وكأننا نؤكد على قابليتنا للاستعمار على حد تفكير مالك بن نبي.فما تمارسه **الميديا الجديدة** علينا من تأثيرات وماتقدمه لنا من تسهيلات جعلنا لا نتوانى للحظة في قبول عروضها،والموافقة على شروطها.وكأننا بذلك نصادق على "**اتفاقية لجوء**" للتنازل عن هوياتنا ومواطننا الإسلامية والعربية ونحن مولوعون بتقليد الغالب،ودون وعي كامل بالمخاض العسير الذي يواجهنا في هذه **المدينة الوسائطية الجديدة**،التي تفتقر لأدنى سلطات ومؤسسات الضبط الاجتماعي الذي وجد منذ الأزل لينظم المجتمعات الإنسانية ويضبط فوضاها،مانعا بذلك الاختلالات التي من الممكن أن تصيبها،ويؤطر كامل العلاقات والتعاملات بين كافة البنى والنظم الاجتماعية الفرعية،ليحقق الاعتماد المتبادل بينها ويحفظها بذلك من الاعوجاج والتجاوزات، التي قد تهدد استقرارها.

فتمرد العقل البشري المعاصر وطغيانه وقدرته الخارقة التي سطرت لبناء هذه المدينة العالميةالمعاصرة فائقةالذكاء،جعلت من هذه الأخيرة تحكم سيطرتها على العوالم الإنسانية بل وتتحداها،ليس لشيء وإنما لأنها الوكيل الشرعي للعقل البشري لننتقل بذلك وكما ذكرنا أنفا من مرحلة تسطير وتفكير العقل البشري إلى هيمنة وسيطرة

العقل الصناعي.ولكن المعادلة واضحة قدر وضوح قرص الشمس في السماء،نعم إنها **"الحرب العالميةالساخنة والأخيرةالتي ستنهي العالم أجمع في وضع اجتماعي،أخلاقي، ديني، قيمي،مشين وجد متردي ،أين سيجدفيه إنسان القرن الواحد والعشرين جل ضالته وبقدر أكبر مما يتصوره عقله البشري ،ولكنه وبكل بساطة لن يجد الشيء المهم والأهم وهو ذاته،وحين يتفطن لذلك فسيجد نفسه خسر كل شيء وهو يحاول البحث عن ذاته فلايعرف لها طريقا أبدا ...لأن العالم البشري أوشك على النهاية لامحالة".**

واليوم تحديدا نشهد تداخلا وتصادما عظيما للأمم والشعوب،حضاريا ،ثقافيا،دينيا و قيميا في خضم الولوج لهذه المدينة الوسائطية-وكأنها حتمية ملزمة-.ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل هذه الأمم تغامر وكلها ثقة ويقين من أنها لن تخرج في الغالب من هذه الثورة العالمية بصيغة خاسرة؟وهي تطمح بجموح غير مسبوق للحاق بركب الدول المتقدمة،ساعية إلى"بناء بيئة مستقبلية تميل إلى التركيز على مزيج من الحياة الاجتماعية متدنية الذوق،والتكنولوجيا الرقمية الفائقةالتي تضم الإنجازات التكنولوجية والعلمية المتقدمة،مثل الذكاء الاصطناعي وعلم التحكم الآلي، **sybernitic**[2] إلى جانب درجة من الانهيار أو التغيير الجذري في النظام الاجتماعي."

2.2:خطاب الشبكات الاجتماعية وأزمة الهوية...ثقافات على المحك

أصبحت حياة الحداثة المعاصرة ذات بعد وذكاء صناعي أكبر بكثير من الذكاء الفطري البشري،فالانفلات في استعمال التقنية وسرعة انتشارها وتفشيها بين شعوب العالم بطرق غير متوقعة تمامًا من مبتكريها وصانعيها،قلب المعادلة رأسا على عقب فالنتائج المتحققة فاقت المتوقع بكثير،وبالخصوص في المجتمعات المتبنية للمعرفة والتي تستهلك المعرفة بخلاف المجتمعات المبنية على المعرفة و التي بنت اقتصادها من وعلى أساس المعرفة،فالتأثير هنا سيكون أقل بقليل من الأضرار التي قد تصيب كاهل الشعوب التي تمثل أسواقا سوداء لاقتناء التقنية التكنولوجية الحديثة،فالدول المصنعة للتقنية تحكم سيطرتها وتوجهها عبر هذه التكنولوجيا نحو البلدان المستضعفة،وتزيد من إصرارها يوما بعد يوم في ظل قابلية الأخر للاستعمار،لاننكر البتة أنها نجحت ولاتزال تحقق المزيد من النجاحات ،فقد كانت ذات بعد تخطيطي استراتيجي فائق في استحداث

آليات ناعمة للتلاعب بالعقول والسيطرة عليها وتخذيرها،ونحن للأسف كمجتمعات مستضعفة لا نزال نعيش هوس التقنية ولم نستفق بعد من مرحلة الانبهار بالوسيلة التي زادتنا وسائطها وشبكاتها الاجتماعية انغماسا،وشغفا وفضولا وكأننا في فلم خيالي أو مغامرة سياحيةفي ضوء **المدينة الوسائطية السايبرانية الجديدة**[3].إذ شكلت وسائط الإعلام الجديد وشبكاته الاجتماعية أحد أهم واخطر الأدوات الاستعمارية للنيل من الشعوب وخاصة العربية منها والإسلامية،فهاهي ذي تسبح وتغوص دون أدنى حماية أو مناعة ذاتية لمقاومة التيار الجارف الذي يجرها إلى لولب الصمت ومتاهة الانغماس والغرق التي تقترب منها شيئا فشيئا،لنتحدث في سياق أقرب إلى هذا التصور عن آليات برمجة الشعوب والتحكم فيها وتلقينها لغويا وعصبيا لنجد أنفسنا في حرب عالمية معلوماتية،معرفية،لغوية،تشكل فيها آليات الممارسة اللغوية الخطابية المادة الخام **للبرمجةاللغوية العصبية(NLP)**[4]،أين تنتشر أفعال التواصل الاجتماعي كفعل وممارسة اجتماعية افتراضية تلقي بضلالها على الأمة الإنسانية،لتتداخل اللغات كحوامل وأوعية لنقل الفكر والمعرفة،ونجد بذلك أنفسنا بين الفينة والأخرى قد اكتسبنا مفردة جديدة ومعاني أحدث وأفكار جديدة وبذلك ستتغير مدركاتنا وتصوراتنا ونكتسب العديد من المعاني عبر الوسيط اللغوي الجديد والمهجن بحروف وتراكيب لغوية مبعثرة، تجمع بين الحرف العربي واللاتيني والعبري والصيني وهكذا دواليك... ،باسم الانفتاح الحضاري والعولمة الثقافية،برعاية وقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وتحت شعار**"اللغة الانجليزية لغة العالم أجمع"**ونحن في الحقيقة في سوق عالمية ذات جودة ونوعية أمريكية انجليزية ،فإما أن ننال المنتج الأجدر والأقدر أو نقتني السلع المقلدة،أو نستفيق لننتج ونستهلك ما تنتجه أيدينا ونحقق اكتفاءنا بذاتنا وذواتنا تحت شعار"نعم للصناعات المحلية"،بالمختصر المفيد هذه هي الحياة الجديدة في المدينة الوسائطية المعاصرة ،فإما أن نتنازل عن وعينا ومبادئنا وقناعاتنا ونمجد الأخر ونكون قوم تبع،أو ننعزل كل الانعزال وننغلق على أنفسنا،ولو أنه قد يستحيل ذلك نوعاما خصوصا في ظل سطوة التقنية الجديدة واستحواذها على الفرد والمجتمع،وبالأخص لدى فئة الشباب التي عايشت هذه المرحلة التكنولوجية الجديدة ونشئت في حضنها في ظل غياب وتراجع دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتقلص أدوارها التي تكاد تنحصر في اللوم

والذم،دون أن تكافح لتعيد الاعتبار لنفسها في ظل الواقع الرقمي الذي هيمن على البشرية.

لو تحدثنا عن أزمة الهوية الثقافية للشعوب المعاصرة وخاصة شعوبنا العربية الإسلامية،فان الحديث سيشدنا إلى ضرورة الخوض في علاقة اللغة بالمجتمع من منظور سوسيولوجي.وبناء على علاقة هذه الأخيرة بالمجتمع و"افتراض العلاقة الطردية بين التخلف في مجال اللغة والتخلف الحضاري،"فاللغة العربية كمثال حي ارتبطت بأحوال المجتمع العربي الإسلامي طيلة التاريخ،في الصعود والهبوط،فلا يشك أحد في أن الشعوب العربية الإسلامية اجتازت حقبة طويلة من التخلف والانتكاس والتبعية للغرب طبعت حياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية،وجرت عليها عواقب وخيمة أثرت في حاضرها وحددت معالم بارزة في طريقها نحو صياغة مستقبلها.وتأثرت اللغة العربية بأحوال الأمة العربية الإسلامية المعاصرة،فأصابها ما أصاب الأمة من تراجع وتخلف وإهمال،بعد أن كانت لغة العلم والتنمية والسياسة والإدارة،ووعاء الفكر والثقافة والحضارة وعدها بنوها لغة لا تساير العصر ولا تواكب التطور ولا تصلح للتعليم."[5] ولأن اللغة عنوان للهوية وطريق إليها والناطق الرسمي باسمها،فهذه الأخيرة قد وجهت لها سهام الاتهام التي أصابتها في الصميم،وعدتها من أعباء الماضي ومما ينبغي التخلص منه،والتعلق بلغات الغرب وثقافاته لأكثر من سبب،باسم التقدم والتطور العالمي المعاصر لتحقيق النمو والازدهار،في حين أن اللغة العربية وما يتبعها من فكر وثقافة لا تستحق إلا الاهانة من ذويها،وبالتالي فاهانة العربية طريق إلى اهانة الهوية وسياسة محكمة في الطعن في كل ماهو أصيل[6] .

3. الصناعة الثقافية من التشكلات الاجتماعية إلى القولبة الرقمية... :

1.3المجتمع الجماهيري مقابل الثقافة الجماهيرية الشعبية:

تلعب الثقافة دورا مهما في حياة الإنسان بل هي جزء مهم في حياته كعضو في المجتمع .فهي بذلك تحتل مكانا بارزا في الدراسات الاجتماعية و الأنثروبولوجية والإنسانية عامة .إذ بغير هذه الدراسات والأبحاث لا يستطيع الباحث أن يتعرف على الفرد أو الجماعة أو المجتمع أو يفرق بينهم .إن الثقافة بصفة عامة تساعد على التمييز بيم فرد وآخر وبين جماعة وأخرى و مجتمع وآخر .بل إن الثقافة هي التي تميز الجنس البشري عن

غيره من الأجناس. لأن الثقافة هي التي تؤكد الصفة الإنسانية في الجنس البشري،[7] اذ يمكن تعريف الثقافة بحسب ادوارد تايلورفي كتابه الثقافة البدائية على أنها:" كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات ،والفنون والأخلاق ،والقانون ،والعرف،وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع."[8]كما تعرف **الثقافة** بأنها:"ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه،أو نقوم بعمله،أو نمتلكه كأعضاء في مجتمع ."[9] .

في حين يقول **ويسلر** بأن **الثقافة** هي" كل الأنشطة الاجتماعية في أوسع معانيها مثل اللغة والزواج ونسق الملكية والاتيكيت والصناعات والفن"[10].في حين توسع" **لوير**"في تعريفه للثقافة حيث يقول:"الثقافة هي ذلك المجموع الكلي لما يكتسبه الفرد من مجتمعه-تلك المعتقدات والأعراف والمعايير الجمالية وعادات الطعام والحرف التي لم يعرفها الفرد نتيجة نشاطه الابتكاري،بل عرفها كتراث من الماضي،ينتقل إليه بواسطة التعليم الرسمي وغير الرسمي "[11]،ولأن الثقافة تشكل كل مظاهر حياتنا وأدق تفاصيلنا التي نحياها ،فهي بذلك تنشأ من والى المجتمع الذي نعيش فيه ونترعرع فيه،فهي في علاقة تكاملية وترابطية مع باقي مكونات النسق الاجتماعي تؤثر فيها وتتأثر بها. ولما كانت بهذا الوزن والثقل كان من الجيد الحديث عنها منذ القدم إلى اليوم وحتى بالغد،فلا مجتمع ولاحياة بدون كل ثقافي،فهي الحياة والحرية،والهوية وكل شيء،هي البلازما التي نسبح فيها ونتغذى منها،إنها الهواء الذي نتنفسه،إنها الأوكسيجين.

فالمتابع للتطورات المجتمعية التاريخية يلاحظ بوضوح تام بأن الثقافات الخاصة بالشعوب تطورت بتطور هذه الشعوب والأمم،فمالحقها من تغيرات في بنيتها ومكوناتها،انعكس بشكل كبير على تركيبتها الاجتماعية ليضيف لها العديد من التراكيب الهجينة،الشبيهة بها أحيانا والبعيدةعنهاكل البعد،أحيانا أخرى،خصوصا في ظل الانفتاح الثقافي المعولم الذي ضرب عمق تاريخ الشعوب وأزاله بنقرة زر واحدة،فالاندماج والانغماس في طيف العولمة وفي القرية الكونية العالمية،دفع بالشعوب إلى أن تراهن على هويتها وثقافاتها الشعبية التي تشكل بطاقة الهوية التعريفية،وتغامر مخاطرة بكل ماتملك من تاريخ وحضارة وعادات وتقاليد وقيم و...تحت مغريات وتأثيرات التقنية الوسائطية،فهاذا نحن نتوه،نصول ونجول،كل يوم،كل دقيقة وثانية بين طيات

وصفحات شبكات التواصل الاجتماعي،لنعيش نوعا من الاتصال الشبكي الرقمي المعاصر القريب إلى الخيال والافتراض منه إلى الحقيقة،والقريب إلى قطع الوصل منه إلى التواصل أين تلغى خصوصيتنا الاجتماعية،لتصبح بذلك كل حياتنا نسخة الكترونية قد تمحى وتزول ويزول كل شيء معها بانقطاع سلك كهربائي أو وصلة أنترنت،أو نقرة زر واحدة.هذه هي حياتنا الرقمية المعاصرة أكثر تعقيدا وأكثر اغراء.وبهذا نكون قد انتقلنا في هذه العقود القليلة الماضية وبسرعة معتبرة من المجتمعات الجماهيرية التي شكلتها وسائل الإعلام الجماهيري وتشكلت بها إلى الوسائل الالكترونية والتشكلات الثقافية الرقمية المعولمة والهجينة ذات التحرر والانفلات الأخلاقي غير المبرر.

فالثقافات الالكترونية"تشكيل"متصل بالسياقات والظروف المادية ومدمج فيها،هذه الظروف تنتج الفضاءالالكتروني،وتمده بالمعلومات،بل تحكم طبيعته،وإنتاجه،وتطبيقه،ويعني هذا أننا بحاجة الى أن نرى الثقافات الالكترونية مثل أي عملية ثقافية أخرى تحدد موضع العرق،والطبقة،والنوع،والميل الجنسي،والهوية وتمثلها،وتمارس نفوذهاعليها،وتؤثر فيها بطرق مميزة،توسع دراسات الثقافة الالكترونية عمل النقد الثقافي والدراسات الثقافية بوضع الثقافات الالكترونية في موقعها على اعتبار أنها تؤثر في هذه الهويات الفعلية للأفراد،وتتأثر بها.[12]

2.3 مجتمع المعلومات والثقافات الالكترونية:

إن مجتمع المعلوماتInformation society هو المجتمع الذي يعتمد اعتمادا أساسياً على المعلومات الوفيرة كمورد استثماري وكسلعة إستراتيجية وكخدمة وكمصدر للدخل القومي وكمجال للقوى العاملة؛مستغلاً في ذلك إمكانات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المتطورة كّلها، وبما يبين استخدام المعلومات بشكل واضح في أوجه الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية بغرض تحقيق التنمية المستمرة وتحسين نوعية الحياة للمجتمع وللأفراد.[13]

فبينما يصبح للأنترنت ووسائل الإعلام الرقمية والثقافات الالكترونية "مطبعة"ومستأنسةومدمجةفي الحياة اليومية للأفراد والمنظمات...فالثقافات الالكترونية مدمجة في صور القوة،مغلفة لها،أو منتجة لها،فلكي نفهمها ونقرأها نحتاج إلى أن ننظر

إليها على اعتبار أنها "ثقافة تكنولوجية.افتراضية ،فالفضاء الافتراضي ليس كيانا مستقلا ولكنه متصل بالعالم المادي ،بكل مشكلاته وهمومه الحاضرة.فبينما تحدد الثقافات أي أشكال التكنولوجيا تتطور،فهذه التكنولوجيات بدورها تشكل الثقافات.ليست التكنولوجيا بعبارة أخرى مجرد ناتج أو سبب للثقافة،ولكنها كلاهما،فهي تحدد الثقافة التي تتطور فيها،وتتحدد بفعلها.ثمة روح ومنطق لأي تكنولوجيا معينة يتغذيان من المجتمع والثقافة ويغذيانهما."بعبارة أخرى على المرء أن يضع أي تكنولوجيا داخل سياقاتها المادية المحددة .[14]

خاتمة:

ختامالايسعنا سوى التنويه وبشدة إلى خطورة الوضع الذي تعيشه الشعوب والأمم المعاصرة،في ظل الطفرة النوعية لتكنولوجيات الإعلام والاتصال،التي لم تسهل علينا عمليات التواصل والتبادل الحضاري والفكري والثقافي وفقط،وإنما ألغت كل الحدود الجغرافيةمنها والزمانية وكل ماتعلق واقترن بالخصوصية العامة والشخصية لأمم وشعوب العالم أجمع .فألغت بذلك كل ماهو اجتماعي حي وحقيقي،وأبدلته نسخاوتشكيلات ثقافية رقمية مصنعة ومقولبة وفق ماتقتضيه السيطرة العالمية المعولمة،لتزول بذلك ثقافات وتهدد أخرى على هامش ومحك الضياع والتشتت،وتستبدل أخرى مكان أخرى،والإنسانية أجمع تسبح في متاهة ودوامة وسائط الإعلام الجديد وشبكاته،فاهي ذي تبحث عن صبغتها الاجتماعية وفي جانب أخر ألغتها،لتعيش حياة أشبه بالأحلام في عوالم افتراضيةمغرية تتمتع بكل مالذ و طاب من فضاءات سيبرانية مثيرة لايمل الولوج إليها أي مستخدم ولا يكل،وفي المقابل المجتمع والحياة العادية في تشكلاتها الطبيعية الفطرية ،تلغى شيئا فشيئا.

الهوامش:

1 لفظ" **الهابيتوس** " في مستواه الايتيمولوجي إلى الأصل اللغوي اليوناني Hexis ، ومنه ترجم إلى اللابتينية بكلمة Habitus كما أثبت كلود ديبار .CL.Dubar ويعني هذا اللفظ الحالة التي يكون عليها الشخص عادة، كما يشير في معناه الواسع الى مجموع الاستعدادات القارة التي تتدخل فيها عناصر الطبيعة والثقافة.وكان أرسطو يشير بهذا اللفظ الى "استعدادات الروح والجسم المكتسبة":ينظر: ***DUBAR(CL): socialisation, construction des identités sociales et professionnelles,*** *2em édition, P.U.F, Paris,1991,P :65*

2إن مفهوم **السيبرنطيقا** يعني التحكم والضبط ،إستنادا إلى المعنى اللغوي اللاتيني للمصطلح والدي يعود إلى kubernetikeوهو المصطلح الذي أطلقه أفلاطون على موجه السفينة ،**والسيبرنطيقا** كما سبق الذكر تقوم على التغدية المرتدة من خلال متابعة وضع ما خلال فترات زمنية معينة لتحديد الوضع اللاحق ،أي أنها تقوم أساسا على المعلومة ،وعليه نجد أن السيبرنطيقا تتداخل مع وسائل الإعلام من حيث المبدأ الذي هو المعلومة ومن حيث الهدف الذي هو التحكم والضبط ،وكل من **السيبرنطيقا ووسائل الإعلام** يشكلان ظاهرتين مهمتين تلعبان دور رئيسي في تحديد وتوجيه السلوكات الإجتماعية، السّيبَرْنِيَّات (السيبرنطيقا) هو علم التحكم الآلي .. علم عمليات التواصل والتحكم الآلي في الحيوانات والآلات، حيث يقوم بدراسة نظم التحكم، مثل الجهاز العصبي، في الكائنات الحية ووضع نظم مماثلة لها في الأجهزة الإلكترونية والميكانيكية. وهو علم قد لا يكون مألوفا لدى العديد من القراء اليوم، إلا إذا كان جزءاً من كلمات مثل "الفضاء الخيالي الواقعي cyberspace".وهذا المصطلح اخترعه عالم الرياضيات نوربرت فينر في كتابه عن التحكم والاتصالات في الحيوانات والآلات. وجذور التعبير أتى من اليونانية kybernetes، بمعنى رجل الدفة steersman أو المتحكم .governorينظر: **مكي، هشام:الاتصال الجماهيري وسؤال القيم - دراسة في نظريات الاتصال الجماهيري المؤسسة، مركز نماء للبحوث والدراسات (الرياض2016)ص16.**

3 المدينة الوسائطية السايبرانية الجديدةهي عبارة عن قرية كونية عالمية شبهتها بالمدينة الوسائطية ،استنادا للوسائط الحديثة والتطبيقات الاعلامية الجديدة ،ممثلة بمواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك وغيره .

4البرمجة اللغوية العصبية:عبارة عن علم جديد يهدف الى التحكم النفسي في الانسان بهدف توجيه سلوكه وتعديله،من أبرز روادها في الوطن العربي ابراهيم الفقي.

5محمد محمد يونس علي:قضايا في اللغة واللسانيات وتحليل الخطاب،دار الكتاب الجديدالمتحدة ، ط10 بيروت، ،2013،ص10.

6 ينظر:عبد الرحمان بودرع،في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي-قضايا ونماذج من الواقع العربي المعاصر ،داركنوز المعرفة-،ط1، الأردن، 2015،ص162.

7(R. Bierstedt. The Social Order. New York : Mc Graw Hill 1963).
8 مجموعة مؤلفين،تر:علي سيد الصاوي،نظرية الثقافة،دط،1997،عالم المعرفة،ص9.
9 صمويل هنجتون،صدام الحضارات،تلر:طلعت الشايب ،مطابع السياسة،ط2،لكويت ،ص24.
10سامية حسن الساعاتي،الثقافة والشخصية،بحث في علم الاجتماع الثقافي،دار النهضة العربية،بيروت،1983،ص35.
11 م ن:ص35.
12بارامودكيه نايار،تر:جلال الدين عز الدين علي،مقدمة إلى وسائل الإعلام الجديدة والثقافات الالكترونية،المملكة المتحدة،2017،ص15.
13سيد حسين، فاروق ، الاتصالات عبر الأقمار الصناعية، دار الراتب الجامعية ،بيروت،ص42.
14 بارامود كيه نايار م ن:ص15.